مركز البيدر للدراسات والتخطيط
Al-Baidar Center For Studies And Planning

عقلانيات السياسة

إبراهيم العبادي

اصدارات مركز البيدر للدراسات والتخطيط

عصر الثلاثاء الموافق الخامس عشر من آب الجاري، التأم جمع محدود من الباحثين والناشطين والمهتمين بدعوة من مركز البيدر للدراسات والتخطيط للاستماع إلى السفير العراقي اللامع لقمان الفيلي وهو يتحدث عن تجربة وحدة الألمانيتين عام 1990 ودروسها العملية وإمكانية استفادة العراق من هذه التجربة. الفيلي تحدث عن الإرادة والثقافة الحزبية والقدرة الاقتصادية والماكنة الدبلوماسية التي كتبت قصة النجاح الألمانية.

سبق لمركز البيدر للدراسات والتخطيط خلال العامين الماضيين، أن جمع الباحثين في ندوتين مهمّتين، الأولى كانت للدكتور هشام العلوي وكيل وزارة الخارجية الحالي والسفير السابق في جنوب إفريقيا ليتحدث عن تجربة الانتقال الديمقراطي في جنوب إفريقيا ومشكلات الحوكمة والفساد والتنمية والاندماج السياسي وكيف نجحت جنوب إفريقيا في أن تحقق قدراً من النجاح على الرغم من الصعوبات الهائلة، والثانية كانت للسفير الفيلي ذاته حيث قدّم شرحاً مفصلاً عن دروس التاريخ السياسي لألمانيا بُعيد الحرب العالمية الأولى، يوم اشتبكت الأحزاب والتيارات في صراع سياسي ومناكفة حزبية وانقسام ايديولوجي كبير، لم تنجح معه جمهورية فايمار في إدارة الوضع حتى تمخض الضعف السياسي والهشاشة الاقتصادية والصراع الحزبي عن نتيجة سامة، إذ صار الألمان يتوقون للخلاص من هذا الواقع فيندفعون مع كل دعوة إلى القوة والمواجهة واسترداد ما يعتقدونه حقاً ضاع منهم استلهاماً لفلسفات القوة النيتشوية، فكان أن انتشرت الدعوة القومية المتطرفة، لتتحول معها ألمانيا إلى النزعة النازية بسرعة مذهلة، ولتقود أوربا إلى انتحار كبير بفعل حرائق الحروب التي دشنها هتلر، ولم تخرج منها ألمانيا بنتيجة سوى احتلالات متعددة لأرضها، وانقسام في مجتمعها، وتدمير لدولتها ما لبثت أن عالجته في غضون 44 عاماً معتمدة على حكمة رجال سياسة أفذاذ أمثال كونراد اديناور وويلي برانت وهلموت كول وثقافة مجتمعية منتجة بَنت نموذجاً لدولة الرفاه مجدداً، واستعادت بسرعة قسمها الشرقي (الشيوعي) غداة انهيار المنظومة الاشتراكية عام 1990.

تجارب الدول ودروس التاريخ المعاصر هي ما يغري الباحثين الجادّين ومنهم بعض الدبلوماسيين العراقيين من ذوي الهمم والبصائر، للتعلم منها ونقلها إلى الوسط العراقي، ابتداء عبر النخب المتعلمة ذات الاهتمام، ومنها إلى الأوساط السياسية والمتحزبة لعلها تستفيد في بناء ثقافتها السياسية فتنتقل من الأحادية والجمود، نحو الإدراك المعمّق والدراية المنفتحة والتواضع المعرفي

والعلمي، علّها تسهم في إنضاج وتطوير التنمية السياسية الجارية في العراق، وهي تنمية مشوبة بالفوضى الحزبية والصراعات المتعددة الأشكال، والاستعمال الواسع للمال السياسي مع فساد كبير.

المثير في ندوة مركز البيدر للدراسات والتخطيط الأخيرة أن القائم بالأعمال الألماني كان مشاركاً فيها بحماس كبير، وكانت كلماته تدعو الحاضرين إلى استلهام التجربة الألمانية التي يتحدث عنها بفخر واعتزاز، مشيراً إلى أنّ الشعب الألماني في الشطر الغربي تقبّل الكلفة الاقتصادية للوحدة الاندماجية عن طيب خاطر والبالغة 1500 مليار دولار، لأنّ ألمانيا دولة محورية مهمة، وهي قاطرة الاستقرار والنهوض الاقتصادي في أوربا، كما العراق الذي لا يقلّ قيمة ستراتيجية في موقعه ومحيطه الجغرافي وتاريخه وديمغرافيته المتنوعة.

سلسلة الندوات هذه التي تركز على تجارب عالمية مهمة في البناء السياسي والاقتصادي والانتقال الديمقراطي، تطرح تساؤلات جادة عن طبيعة الثقافة السياسية في العراق وخصائصها ودورها في ما حدث ويحدث راهناً من انتكاسات وفشل، فليس سرّاً القول إنّ أحد أكبر مشكلات العراق التاريخية هي معتقدات العراقيين السياسية و النزعات والأهداف والقيم التي يسعون إلى تمثّلها في واقعهم السياسي والاجتماعي، حيث ينوس المؤشر بين المثالية المفرطة والواقعية المحبطة.

لقد حلّت بالعراق حوادث ونوازل وكوارث كبرى، ومتغيرات ومنعطفات أكثرها دامٍ وعنيف، وكل نازلة منها تشع دروساً ملهمة لتفادي المزيد من الأخطاء والسياسات الحمقاء، ولا نبالغ إذا قلنا إنّ التنشئة السياسية في العراق تتحمل وزر الكثير من السلوك السياسي المفعم بالارتجال والتهور والمغامرات والاندفاعات (الثورية) غير المتزنة، فيما تتوارى الاتجاهات العقلانية وتقمع سلطوياً أو تهمش اجتماعياً بسبب غلبة نموذج الانفعال السياسي الذي يتسم به العراقيون.

فائدة الاطلاع على تجارب الشعوب والدول الأخرى في العالم، أنها توفّر معرفة ناجزة تحفز في مقاومة التحديات والصعوبات والاطلاع على مسارات الحلول وتحقيق التطلعات والأهداف.

أمامنا تجارب الانتقال الديمقراطي في أكثر من بلد عانى من الاستبداد والشمولية والقهر السياسي والحروب الأهلية، وأمامنا تجارب ملهمة في إدارة التنوع والاختلافات الإثنية والطائفية والعرقية، ويرتسم في لوحة التجارب العالمية نماذج في البناء الدستوري الناجح واللامركزية الإدارية

والتنمية الاقتصادية الرامية إلى توسيع مداخيل الدولة واستيعاب جيوش العاطلين والهروب من ريعية الاقتصاد إلى فسحة التنوع الاقتصادي.

كما تتظافر التجارب الدولية تجربة بعد أخرى في مواجهة تغلغل الفساد و تغوّل المال السياسي وانتشار مافيات التربح والزبائنية، وكل هذه النماذج العالمية مدعاة للدراسة والتبصر والمحاكاة والاحتذاء، فمازلنا في العراق نخطو الخطوات الأولى بين تعثّر ونجاح نسبي للإفلات من طوق محكم من الأزمات والتحديات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وما من بلد تجاوز منعطفاته التاريخية بدون وعي سليم وثقافة نقدية، وإرادة سياسية لدى كتلته التاريخية وإجماع وطني على أولويات ومفاتيح حلول لتحقيق النهوض والإقلاع في مشروع التنمية الشاملة (التنمية السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية)باشتراطاتها الكبرى، المتمثلة بالرأسمال الاجتماعي والبشري والأدوات المادية والأمن الداخلي والبيئة الخارجية المواتية.

الآن حيث يسود إجماع داخلي بأن العراق يحتاج إلى التركيز على تحديات البناء الاقتصادي ومواجهة تغيرات المناخ، من جفاف وتصحر وتلوث وأمراض وفقر وبطالة، وهي تحديات كبرى، تحتاج إلى استقرار سياسي وأمني لمعالجتها، ومشاركة وطنية و حوكمة حديثة فعّالة لتجاوزها، وتعاون إقليمي ودولي للتغلب على صعوباتها وعراقيلها، ما تزال الثقافة السياسية تحبط وتمنع التوفر على مشروع وطني كالذي أنجزته ألمانيا، أو كالذي حققته رواندا، أو كالنجاح الذي تحقق لجورجيا في مكافحة الفساد، أو كما حققته اقتصادياً ماليزيا وأندونسيا وتايلند وفيتنام والهند وتركيا وشيلي، وكل هذه الدول لها مساراتها وتجاربها في البناء الدستوري والتنمية السياسية، قبل أن تنجح في البناء الاقتصادي.بناءُ الاقتصاد له شروطه الضرورية سياسياً وامنياً وثقافياً.

أمامنا شوط طويل للتعلم، شريطة الانفتاح على تجارب العالم وتجاوز الوعي المسموم بفرادة الحالة العراقية، والتعكّز المضر على الخصوصية، فليست الخصوصية مانعة من استلهام تجارب الآخرين، بقدر ما تكون حجاباً يمنع التبصّر والقراءة الواعية ويبرر العجز والفشل.

تميل ثقافتنا السياسية إلى اعتماد الذاكرة ومسلماتها التاريخية، وتعتمد النزوعية وتحويل خطوط الصراع والتنافس على السلطة إلى صدوع كبيرة، تمنع من التوافق على المشتركات وتقديم

المصالح الوطنية الكبرى على ما سواها، وحتى يحصل انعطاف في هذه الثقافة، تظل النخب ومراكز الأبحاث ومنابر التثقيف مكلفة بالسعي الحثيث للترويج لعقلانيات التفكير السياسي بدل الاجتياح المسطّح للعقول الذي تمارسه قوى ومنابر تتسيّد الساحة.

هوية البحث

اسم الباحث: إبراهيم العبادي - كاتب وباحث في المجال السياسي

عنوان البحث: عقلانيات السياسة

تأريخ النشر: آب - اغسطس 2023

المقال منشور في صحيفة الصباح بعددها المرقم (5757) بتاريخ الاثنين 2023-8-21

ملاحظة:

الآراء الواردة في هذا البحث لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز، إنما تعبر فقط عن وجهة نظر كاتبها

عن المركز

مركز البيدر للدراسات والتخطيط منظمة عراقية غير حكوميّة، وغير ربحّية، تأسس سنة 2015م، ومُسجل لدى دائرة المنظمات غير الحكومية في الأمانة العامة لمجلس الوزراء.

يحرص المركز للمساهمة في بناء الإنسان، باعتباره ثروة هذا الوطن، عن طريق تنظيم برامج لإعداد وتطوير الشباب الواعد، وعقد دورات لصناعة قيادات قادرة على طرح وتبني وتطبيق رؤى وخطط مستقبلية، تنهض بالفرد والمجتمع وتحافظ على هوية المجتمع العراقي المتميزة ومنظومته القيمية، القائمة على الالتزام بمكارم الاخلاق، والتحلي بالصفات الحميدة، ونبذ الفساد بأنواعه كافة، إدارية ومالية وفكرية وأخلاقية وغيرها.

ويسعى المركز أيضاً للمساهمة في بناء الدولة، عن طريق طرح الرؤى والحلول العملية للمشاكل والتحديات الرئيسة التي تواجهها الدولة، وتطوير آليات إدارة القطاع العام، ورسم السياسات العامة ووضع الخطط الاستراتيجية، وذلك عن طريق الدراسات الرصينة المستندة على البيانات والمعلومات الموثقة، وعن طريق اللقاءات الدورية مع الجهات المعنية في الدولة والمنظمات الدولية ذات العلاقة. ويسعى المركز لدعم الإصلاحات الاقتصادية والتنمية المستدامة وتقديم المساعدة الفنية للقطاعين العام والخاص، كما يسعى المركز لدعم وتطوير القطاع الخاص، والنهوض به لتوفير فرص عمل للمواطنين عن طريق التدريب والتأهيل لعدد من الشباب، بما يقلل من اعتمادهم على المؤسسة الحكومية، ويساهم في دعم اقتصاد البلد والارتقاء به.

حقوق النشر محفوظة لمركز البيدر للدراسات والتخطيط

www.baidarcenter.org

info@baidarcenter.org